جامعـــة الأزهـــر
كليــة الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيق
المجلة العلميــة

البناء الفني في الرواية المغربية
" محمد برادة أنموذجا"

إعداد

د/ محجوبة عبد الله محمد البفور

قسم اللغة العربية ، كلية الآداب والفنون، جامعة حائل، المملكة العربية السعودية

(العدد الثالث عشر)

(الإصدار الثاني١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م)

(الجزء الثاني)

علمية- محكمة- نصف سنوية

البناء الفني في الرواية المغربية" محمد برادة أنموذجا"

محجوبة عبد الله محمد البفور

قسم اللغة العربية ، كلية الآداب والفنون، جامعة حائل، المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني:joubalbayzi@gmail.com

ملخص:

تسعى هذه الدارسة للكشف عن نشأة الرواية المغربية واستوائها كنوع أدبي قائم بذاته؛ والذي يمثل انعكاسا للأحداث في سياق الواقع الذي يعاني فيه الأفراد من الاغتراب والظلم والاجحاف خصوصا في فترات الاستعمار وما خلفه في نفوس المغاربة من عجز كبل أحلامهم وتطلعاتهم في تحرير واقع عادل بعيدا عن الاستغلال والطبقية التي مازال المغرب يتخبط فيها رغم انقضاء الاستعمار الأجنبي.

ولعل الاستعمار والظلم الذي عانى منه العالم العربي ومازال هو ما جعل الانكباب على فن الرواية يشهد اقبالا كبيرا من طرف الكتاب والقراء، لاسيما الروايات التي تواكب الواقع بكل تفاصيله اعتمادا على آليات فنية أسهمت في إضفاء الواقعية والبعد عن الخيال الذي لم يجد فيه المبدع مخرجا لمعاناة وآلام المجتمع؛ حيث لم تعد هذه الآليات مجرد قوالب جامدة تصب فيها أحداث معينة لابد منها لصيرورة العمل الإبداعي بل صارت تشكل جزءا من أجزاء البنية الأساسية للعمل الروائي؛ وبعد اطلاعنا على مجموعة من الروايات المغربية لفت انتباهنا حضور عدد من الآليات الفنية التي اشتغل بها الكتاب في الرواية المغربية والتي تنطلق من الأحداث والشخصيات الواقعية بمعية أزمنة وأمكنة تحاكي دروب وأزقة مدن المغرب مرورا باللغة والحوار الذي جاء بلهجة عامية تقارب المجتمع المغربي، وسنعمل في هذه الدراسة على حصر طرائق حضور الأحداث والزمان والمكان واللغة التي أسست بناء الرواية المغربية.

الكلمات المفتاحية: الأحداث- الزمان- المكان- اللغة والحوار- الرواية المغربية.

Research title: Artistic structure in the Moroccan novel, "Mohamed Barrada as a model"

Mahjouba Abdullah Muhammad Al-Bafour
Department of Arabic Language, College of Arts and Letters, University of Hail, Kingdom of Saudi Arabia
Email: joubalbayzi@gmail.com

Abstract :

This study seeks to reveal the emergence of the Moroccan novel and its development as a stand-alone literary genre. Which It represents a reflection of events in the context of reality in which individuals suffer from alienation, injustice and inequity Especially during the periods of colonialism and the inability it left in the souls of Moroccans, which shackled their dreams and aspirations Liberating a just reality away from the exploitation and classism that Morocco is still floundering despite Foreign colonization.

Perhaps the colonialism and injustice that the Arab world has suffered and is still suffering from is what made us focus on The art of the novel is witnessing great demand from writers and readers, especially novels that keep pace with reality in every way Its details are based on artistic mechanisms that contributed to adding realism and distance from imagination, which was not found in it The creative person is a way out of the suffering and pain of society. These mechanisms are no longer just rigid templates to be poured into Certain events are necessary for the process of creative work to take place. Rather, they have become part of the structure Essential to the work of fiction; After reviewing a group of Moroccan novels, Hadar caught our attention A number of artistic mechanisms used by writers in the Moroccan novel, which stem from events The realistic characters, along with times and places, mimic the paths and alleys of Moroccan cities, through language and dialogue Which came in a colloquial dialect similar to Moroccan society, and in this study we will work to enumerate the methods The presence of the events, time, place and language that established the construction of the Moroccan novel

Keywords: Events - Time - Place - Language And Dialogue - The Moroccan Novel

مقدمة:

عرفت الساحة الأدبية ظهور كثير من الأجناس النثرية أبرزها الرواية التي استطاعت الاستجابة لمجموعة من الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي شهدها العالم العربي والغربي وما يحيط بها من قضايا وإشكالات وجدت في الرواية المتنفس الوحيد للكتاب والقراء الذين عاشوا معاناة وأوجاع خاصة فترة الاستعمار وما صاحبها من تغييرات تستوجب البوح والتعبير بطرائق وأساليب متنوعة؛ وقد شهدت الرواية العربية عموما والمغربية خصوصا حضورا مائزا في الساحة الأدبية خلق أسماء تاريخية استطاعت تجسيد الواقع ونقله.

الرواية المغربية الحضور والمؤثرات

شهدت الساحة الأدبية مع مطلع القرن العشرين ولادة عدد من التيارات التي حاولت الكشف عن آليات جمالية النص وإشكالياته؛ مما حقق للدارسين والنقاد زخما واسعا في المفاهيم والأدوات التي مكنتهم من سبر أغوار النص في أبعاده الفنية والجمالية؛ وفي خضم التحولات السياسية والفكرية والثورة الصناعية التي شهدتها أوروبا تطورت معها أساليب التعبير ومناهج البحث؛ فظهرت الرواية بوصفها جنسا أدبيا قادرا على التعبير عن تفاصيل التحولات العالمية ومنفتحا على القضايا الاجتماعية الخاصة بكل مجتمع على حدة. وتماشيا مع التحولات التي عرفها المجتمع والأدب بالمغرب استطاعت الكتابة الروائية بالمغرب أن تتأسس وتنتشر وتطور من مفهومها وتقنياتها لتنفتح على التجارب الروائية الجديدة والنظريات لغوية الأدبية والفكرية التي ظهرت في أرجاء مختلفة من العالم.

يشكل التداخل بين الرواية والواقع أهم منطلقات جيل الستينات والسبعينات بالمغرب والمرتبطة في أغلبها بفلسفة الانطلاق الواقع وتجسيده أدبيا؛ وقد انبثقت ثلة من أعلام الرواية نكتفي هنا بالإشارة إلى أهمها وهم (عبد الكريم غلاب ومبارك ربيع ومحمد زفزاف ومحمد شكري ومحمد برادة...) وغيرهم من الذين تركوا بصمة بارزة في هذا النوع من الكتابات التي ظهرت لتحاكي الواقع بكل

حذافيره ولعبوا دورا كبيرا في انتشار الرواية وتقدمها بالمغرب؛ حيث استطاع هذا الجيل أن يضفي خصوصية محلية على متخيّلها وعوالمها؛ كما تميّزت كتابات هذا الجيل بمجموعة من الخصائص ترتبط بالبعد المحلي من حيث طبيعة اللغة والشخصيات والأحداث والفضاءات والسياقات الثقافية والاجتماعية والنفسية التي جاءت لتحاكي الواقع المغربي؛ لتجعل من الرواية المغربية معلما فنيا وجماليا يسخره الروائي لطرح القضايا الاجتماعية الراهنة التي تخص المجتمع والروح الإنسانية وتعمل بشكل تأثيري على المتلقي المتلهف لهذا النوع من الأدب. ولهذا جاءت ورقتنا هذه لتكشف عن البناء الفني للرواية المغربية.

تعددت مفاهيم الرواية وتشعبت لانفتاحها على مجموع من الأجناس الأدبية والشعبية التي تقاطعت مع هذا الجنس الأدبي لكونها تمتح من كل الأفكار والأصوات والمعتقدات والتطلعات السائدة آنذاك، لتضحى الرواية " إعادة إنتاج حياة يظهر فيها ما يميز الحياة نفسها: شخوص وأحداث وزمان ومكان يسطع فيها ما تضطرم به الحياة من تعدد لغوي وفكري وصراع أيديولوجيات ورغبات مختلفة"[١]؛ وتستعين الرواية في هذا النقل الكاشف للأحداث الواقعية بشخوص وأزمنة وأمكنة ولغة تتغير باختلاف فحوى السرد الذي قد يتخذ بعدا فلسفيا أو أخلاقيا أو تاريخيا أو غيره من مستويات السرد وأنواعه والتي غالبا ما "تستهدف إثارة الاهتمام سواء أكان ذلك بتطور حوادثها أو بتصويرها للعادات والتقاليد أو بغرابة أحداثها ... وقد تكون نقدية أو فلسفية أو تاريخية أو تتناول المغامرات الغريبة والحكايات التي تستثير الخيال"[٢]؛ ولعل ما يهمني في هذا المضمار هو البناء في الرواية المغربية لنقف على ما مدى نقلها للوقائع

١ – مصطفى الصاوي الجويني/ في الأدبي العالمي (القصة والرواية، السير) ، ج ٣، ص ١٣.

٢–فتحي سلامة/ مجلة الفيصل، مجلة ثقافية شهرية تصدر عن دار الفيصل الثقافية، العدد٣٧، ١٩٨٠، ص ٩٣.

التاريخية والاجتماعية التي مر بها المجتمع المغربي، ونتساءل عن ما مدى نجاعة الرواية المغربية في نقل أسئلة الواقع؟ ومميزات وآليات هذا النقل؟

التجربة الروائية المغربية

أدرك المثقفون والدارسون أهمية الرواية في نقل هموم القارئ والكشف عن تاريخ المجتمعات بغية إعادة استثماره ونقله في قالب أدبي جديد، يلامس تطلعات الكاتب والمجتمع في بناء صرح ثقافي جديد يكشف عن الهوية؛ فالرواية " هذا العالم الجميل المكتمل فنيا في بناء لغتها وشخصياتها وأزمانها وأحيازها وأحداثها وما يعتور كل ذلك من خصيب الخيال" [1]؛ وعليه فالرواية تستعين بجملة أدوات تجعل من العمل الروائي فنا متكامل البناء ومتماسك الأطراف يستأثر باهتمام الناقد والدارس والمتلقي، مما يجعلنا نتساءل عن أهم ما يميز الرواية المغربية ومواطن جمالها؛ من خلال أهم المقومات الفنية المستعان بها في بناء السرد الروائي الذي يلامس الحكاية الواقعية " إن الرواية لا تكون مميزة فقط بمادتها ولكن أيضا بواسطة هذه الخاصية الأساسية المتمثلة في أن يكون لها شكل ما، بمعنى أن يكون لها بدايته ووسط ونهاية"[2]؛ فالروائي يعيد تجسيد الواقع بالانسجام مع جملة المتناقضات والمفارقات التي يعج بها وتتداخل في بناءه، وفي ظل انحلال القيم والمبادئ وتشتت الروح الجماعية وإجحاف الذات المفردة، لم يعد الكاتب مفتوننا بخلق عالم فاتنا وساحرا بل أضحى الكاتب مقهورا مغلوبا على أمره شأن جميع الناس؛ ليصبح المجتمع في حاجة ماسة لفعل إبداعي يعيد النظر في الواقع ليزكي الهوية الجماعية، وهو ما أثث لظهور ثلة من الروائيين

١- مرتاض عبد المالك/ في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد، مجلة عالم المعرفة، الكويت، ع ٢٤٠، ط، ١٩٨٨، ص ٠٧

٢- حميد الحميداني/ بنية النص السردي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩١، ص ٤٥

المغاربة المعاصرين الذين يتميزون بتداخل مجالات اشتغالهم وتخصصاتهم، مما أثرى الروافد الثقافية والجمالية للموضوعات الروائية المغربية والتي "لا يمكن تجرديها من وظيفتها التمثيلية الثقافية ولا يمكن في الوقت نفسه استبعاد جماليتها السردية فهي تختزل النظرات النقدية الضيقة التي تنحبس في تفسير أحادي الرؤية وتتميز على أي منظور يراها ظاهرة أدبية فقط"[١]؛ وعليه فمنذ نهاية التسعينات إلى الألفية الثالثة شهدت الرواية المغربية ارتفاعا كبيرا في حجم الإصدارات على يد جيل من الكتاب تميزوا بتوجهاتهم الفكرية المختلفة مما جعل الرواية تسترجع التاريخ وتستدعي التراث وتزكي الذاكرة الجماعية؛ فالرواية تعد" من أكثر الأنواع الخبرية قبولا لتحقيق هذا التداخل والاختلاط وباعتبارها (الرواية) النوع الأكثر اتصالا بواقع العصر والمتغير باستمرار"[٢].

شهد المغرب تحولات اجتماعية فارقة مهدت لظهور الرواية في الأدب المغربي؛ حيث يشكل توسع قاعدة المثقفين وبداية ظهور البرجوازية إضافة للاهتمام بالقصة التاريخية أهم العوامل المؤثثة لظهور الرواية المغربية والانكباب على كتابتها، ولعل رواية "وزير غرناطة" لعبد الهادي بو طالب*، ورواية "في الطفولة" لعبد المجيد بن جلول* من أهم الروايات التي استطاعت أن تترك بصمة قوية في تاريخ الأدب المغربي قبل أن تنضح الرواية المغربية على ماهي عليه اليوم. وقد حاول ثلة من الروائيين ملامسة ونقل الواقع بكل حيثياته وفق نصوص تستهدف أبعادا دلالية عميقة؛ بلغة سهلة ممتعة تأسر المتلقي وتنفتح على خطابات شعرية وسياسية وتاريخية؛ مما أكسبها جمهورا عريضا داخل

١- عبد الله إبراهيم/ موسوعة السرد العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٥، ص ٣٢٠.

٢- سعيد يقطين/ الكلام والخبر: مقدمة للسرد لعربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٧، ص١٩٧.

الوطن وخارجه، خصوصا عندما لامست نصوصه الشغف العربي المتطلع للتحرر من الأزمات والظلم الذي طالما عانى منه أبناء الوطن العربي ككل؛ فلم يكن الأدب بمنأى عن هذه التحولات التي أصابت المجتمعات مما أسهم في الالتفات أكثر للرواية " التي نشأت وتطورت ضمن سيرورة المثاقفة وهواجس النهضة وايقاع التصنيفات الاجتماعية وتبدل القيم وتوالد اللغات داخل اللغة الواحدة، الأمر الذي أعطى للرواية مكانة مميزة وحساسة لأنها الشكل التعبيري الأقدار على التقاط صور وعلامات التحولات من خلال كتابة التاريخ العميق الخفي الممتزج بالزمن المعيش"[1]؛ وقد جاءت الرواية الجديدة لتكسر قالب الكلاسيكية وتنفتح على معطيات التحولات الجديدة التي عرفها العالم العربي والمغرب؛ لتتجه " في تشكيل أساس من تشكيلاته إلى بنيوية النص، بالشكل الذي يحقق التوسع نحو المجال الثقافي لا النصي الصرف، على النحو الذي يقدم صورة أخرى لبنيوية النص تنفتح على المجال الثقافي المرادف والحاضر في فضاء النص وطبقاته وبطاناته"[2]؛ وقد أضحت الرواية من أكثر الأجناس الأدبية عمقا في تناول القضايا والمواضيع بأشكال أكثر انفتحا وتحررا مما يجعل الرواية نصا يتقاطع وجملة من المعارف الإنسانية لكونها أكثر مرونة وانسياب مع تطلعات القارئ وما يعانيه من تناقضات الحياة وهو خلاف لما كانت عليه باقي الأجناس التي عاشت الكثير من القيود والتقاليد؛ ولعل انفتاح الرواية المغربية على روافد ثقافية وفكرية متباينة جعلها تضاهي نهج الكتابات الغربية والعربية _

١- خالد حسين حسين/ شعرية المكان في الرواية الجديدة (الخطاب الروائي لا دور الخراط أنموذجا)، كتاب الرياض، مؤسسة اليمامة الصحيفة، الرياض، ٢٠٠٠، ص١١.

٢- محمد صابرعبيد/ المغامرة الجمالية للنص الروائي، عالم الكتب الحديث، إربد، ط ١، ٢٠١٠، ص ٣.

رغم تأخر ظهورها_ في رصد تحولات المجتمع وصعوبات الحياة بلغة أقرب لمختلف طبقات المجتمع.

التاريخ والرواية:

تعج الساحة الأدبية العربية بأسماء كثيرة جسدت الرواية التاريخية منها " نجيب محفوظ، نجيب الكيلاني وعادل كامل، وأمين معلوف وغيرهم من أصحاب المنجزات الفارقة في تاريخ الرواية التاريخية؛ ورغم تأخر ظهور الرواية التاريخية العربية مقارنة والرواية الغربية لأسباب تاريخية واجتماعية إلا أنها حظيت باهتمام بالغ بين المتلقيين كونها وسيلة للتعبير عن الأوضاع التي شغلت المجتمع، إضافة لكونها الناقل الحقيقي للتاريخ العربي الذي يستفز القارئ ويؤجج عواطفه؛ وقد تطورت الرواية التاريخية التي انتقلت من مستوى النقل الخيالي إلى النقل الواقعي الذي يخاطب البعد الفكري والاجتماعي لعامة الناس؛ خاصة وأن الرواية غالبا ما تعمل على نقل الحقائق والتاريخ بلغة مستجدة ومتداولة وأحيانا تستعين بالعامية.

تتقاطع الراوية والمكون التاريخي في المنطلق؛ فإذا كان المؤرخ يدون الأحداث والوقائع بالتركيز على الواقع والبعد عن الخيال، فإن الروائي يسير على الدرب ذاته في تقصي سرد الوقائع الماضية وصبها في قالب سردي يتقاطع فيه التاريخ والواقع الذي يمزجه بخياله، فصاحب النص لا ينطلق في إنجازه السردي من فارغ وإنما غالبا يتحرك بفعل حدث فكري أو سياسي أو اجتماعي حرك الكاتب كمتلقي ومبدع؛ ولعل الظروف التي كان يتخبط فيها المغرب من الطبقية والاستعمار والظلم أجج لهيب الاكباب على الرواية لكونها "عمل فني يتخذ من التاريخ مادة له، ولكنها لا تنقل التاريخ بحرفيته، بقدر ما تصور رؤية الفنان له وتوظيفه لهذه الرؤية للتعبير عن تجربة من تجاربه أو موقف من مجتمعه، يتخذ

من التاريخ ذريعة لقوله"[1]؛ وقد جاءت الرواية المغربية لتسرد الحدث التاريخي والسياسي بوصفه متخيلا لا واقعيا؛ حيث كان الروائيون أقرب للواقع والتعبير عنه؛ فمهمة الروائي ليس رصد الإشكالات السياسية عبر التخييل وإنما التعبير عن القلق الذي عاشها المغاربة إبان الاستعمار وفترة ما بعده؛ وقد كان هذا محققا من خلال محكي عبد القادر الشاوي* في رواية "كان وأخواتها"؛ حيث تسعى الرواية لإعادة صياغة وتركيب واقع التجربة السياسية بكل ظروفها وهواجسها المؤلمة، وهو سرد لتاريخ حافل بالاعتقال والتعسف والجور الذي طال فئة كبيرة من شباب المغاربة؛ كتاب وأدباء ومثقفين وسياسيين رفضوا الواقع واحتجوا على الأوضاع، فالروائي يخلق الماضي أكثر مما يعيده ويؤرخ لذاته في علاقتها بسياقات التاريخية والإنسانية لاسيما ونحن نعي التوجه السياسي للروائي وعلاقته بالاتحاد اليساري الذي شكل المحرك الأساس لهذا النقل، بينما فضل البعض نقل المشهد السياسي وتاريخ القمع في قالب حكائي ساخرا أو ناقدا ومتمردا مثله السرد عند محمد برادة* من خلال رواية "امرأة النسيان" " ولعبة النسيان" والتي استثمرت تجارب شخصية عاشها الكاتب وتمرد عليها بالكتابة ليتخلص منها كمحاولة منه لإعادة قراءة التاريخ الوجداني بعد أن يكون الروائي

١- عبد الحميد القط/ بناء الرواية في الأدب المصري الحديث، دار المعارف، مصر، ط١. ص٣٣

*عبد القادر الشاوي باحث وروائي مغربي ولد بالمغرب ١٩٥٠، معارض ومعتقل سياسي له عدة مؤلفات في مجالات فكرية وسياسية وأدبية مختلفة منها " "كان وأخواتها" تأتي أهميتها من كونها تحكي عن معاناة اليساريين الماركسيين في المغرب.

* محمد برادة كاتب وناقد مغربي ولد في الرباط عام ١٩٣٨ له مجموعة من الأعمال الأدبية أشهرها روايات: لعبة النسيان/ امرأة النسيان/سلخ الجلد/ الضوء العارب/ حيوات متجاوزة... حائز على جائزة المغرب عن كتابه النقدي" فضاءات روائية".

قد ألم بالواقع والتاريخ؛ ويزاول الراوي لعبة النسيان، نسيان الآلام والأوجاع، ويدعو إلى استدعاء الذكريات والشروع في تشخيص متخيّل للشيء العزيز المفقود والمفتقد " لماذا تريد أن تفتح بابا لن يأتيك منه إلا الوجع وصداع الرأس. مع أنك تريد الكتابة عن لعبة النسيان وطرائق تحاشي ما يؤلم النفس"[١]؛ ليكشف عبثية هذه اللعبة التي تأبى نسيان ألم ينخر في جسد وفكر كل مغربي؛ حيث ترصد الرواية حركية المجتمع المغربي أواخر فترة الاستعمار وبداية الاستقلال وما عقبه من تباين وتفاوت طبقي بين المعمرين وفئات المجتمع المغربي الذي عانى من السلطة الحاكمة وانعدام الحرية وعبثية الحياة.

يهيمن التاريخ بخصائصه الواقعية على أحداث الرواية التاريخية مما يعرض التاريخ للنقد والمساءلة باعتباره "مجموعة من الأحداث المحققة –وليست المتخيلة–التي حدثت في زمن ما وكان لها دور كبير في تغيير جوانب من الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية والمؤسسات التي تعمل حمايتها وضمان تواصلها"[٢]؛ وقد شكل الاطلاع على التاريخ ومعرفته شغف كل قارئ وواعي بتطورات المجتمع الأمر الذي أسهم في ولدت نصوص روائية عربية تهتم بتفاصيل التاريخ وتسكبه في وعاء قادر على ملامسة تطلعات القارئ في فهم واستيعاب الواقع الذي طالما عجزت بعض الأجناس الأدبية على نقله بنفس النمط الذي يرتئيه القارئ الواعي بإشكالات مجتمعه وتاريخه " إذا سكبنا ذلك التاريخ في قالب الرواية فإنه يقرأه القارئ بشوق ولذة فلا يلبث وهو يظن نفسه يطالع قصة فكاهية أن يتناول شيئا من حوادث التاريخ يزيده رغبة في مطالعة

١– محمد برادة /لعبة النسيان، دار الشروق الأولى، مصر، ط١، ١٩٨٧. ص١٣٣.

٢– حسين خمري/ نظرية النص من بنية المعنى إلى سيمائية الدال، منشورات الاختلاف الدار العربية للعلوم، الجزائر، ط١، ٢٠٠٧، ص ٤٦٠.

تاريخهم"[1]؛ يعد هاجس التعبير عن الذات والمجتمع أساس التحول في الكتابة الروائية التي أسهمت مجموعة من العوامل المتجددة في هذا التحول الذي ارتبط بالتخييل في الارتقاء من إثبات الذات عبر الكتابة إلى تأكيد وجود أدب مغربي مغاير يصوغ أشكاله السردية من تطلعات وآلام الواقع؛ فالأدب المغربي عاش زمنا من التراكم قبل أن يصبح بهذا الإبداع المتباين في الفهم والتناول عما كان عليه قبل أن يتأثر بجملة متغيرات ثقافية وفكرية تتجلى في انفتاح وتأثر الجامعات المغربية بالتيارات الفكرية والنقدية الغربية مما سيسهم في تفعيل الجنس الروائي؛ إضافة للدور القيادي الذي قاده ثلة من المثقفين والنقاد الذين اهتموا بالرواية ومشاركة الأدباء في الشأن الاجتماعي والتاريخي الذي مر منه المغرب ونجاعة أعلام الرواية في نقل هموم الذات الجماعية.

تأسست أغلب الكتابات الروائية المغربية من منطلق الجمع بين التفكير والخيال باعتباره المؤسس الفعلي للكتابة والمعبر عن مواقف رفض النقاد والروائيين للواقع الذي يتخبط فيه المغرب إبان الاستعمار وبعده؛ فكتابات عبد الله العروي*[2] تشكل سيلا من الأسئلة الرافضة المحتجة والتي تنم عن قضايا حارقة يكتب تاريخها؛ " إني لا أميل للرواية إلا بدافع تجاوز ما يظهر من صرامة في تحليلاتي الإيدلوجية والتاريخية وهناك مبرر آخر، في كتاباتي الإيديولوجية أفكر باستمرار، فيما يفرض على الجميع القرار الذي يجب أن نتخذه لماذا أكتب لا المشاكل الملحة الحضارية والاقتصادية والاجتماعية منها، التي تتطلب

١- جورجي زيدان/ تاريخ آداب اللغة العربية، بيروت، دار الأدب، ج٤، ص ٦٦٣.

* عبد الله العروي مفكر ومؤرخ وروائي مغربي ولد بالمغرب ١٩٥٠، له مجموعة من المؤلفات الفلسفية والأدبية منها الغربة/ اليتيم/ مفهوم الدولة/ مفهوم الحرية...

الاختيار والحسم" [١]؛ والحال ذاته عند كل من محمد برادة في رواية " الضوء الهارب" التي تتغدى من الواقع والفكر وتعيش على أمل المستقبل.

آليات البناء الفني في الرواية

اللغة والحوار:

تعد اللغة وسيلة والإبداع والانفلات من سلطة الواقع كما أنها تنهض بكل عناصر البناء خاصة في الكتابات الروائية التي يشكل فيها تراص الألفاظ السمة الأكبر من الإبداع بخلاف لغة التواصل؛ وعليه فاللغة تُسهم في عملية السرد وتضفي على القول رونقا وألقا فريدا؛ وهو ما أجاز للروائيين التغيير في مواقع الألفاظ وتراكيبها تماشيا وطبيعة السرد، فاللغة هي "قوة التفكير وقوة الوعي بأشياء موجودة فعلا وإدراك أشياء وحالات لا توجد أصلا"[٢]؛ ولما كانت اللغة ملكا للروائيين يقيدونها ويعيرونها فهي متغيرة حسب بيئة الإبداع التي تتحكم في قوالب ومعاني السرد؛ وبغية توصيل هذا المعنى وتحققه في أرقى صوره وأجلها وضوحًا وبيانا يستعين الروائيون في المغرب تارة باللغة الفصحى وتارة أخرى باللهجة (الدارجة) إيمانا منهم أن هذه الأخيرة تضفي إقرارا محققا للبعد المعرفي والفكري يفوق أحيانا اللغة الفصحى؛ ولعل التعداد اللغوي الذي استدعاه محمد برادة في روايته " **لعبة النسيان**" جاء رغبة منه في الربط بين الواقع والمتخيل واحتضان تأملات الذات وتطلعاتها في وعاء متعانق لغويا وأدبيا جعل الرواية تحقق مستوى عاليا من البناء الفني المتكامل الذي يجد فيه المتلقي ذاته؛ ولعل حضور الحوار المباشر بين الشخوص والحوار الداخلي الذي غالبا ما يكشف عنه بطل الرواية هو ما يضمن هذا التعانق والتداخل ويعلل هذا التعدد اللساني

١- عبد الله العروي/ من التاريخ إلى الحب، الدار البيضاء، نشر الفنك، ١٩٩٦، ص٦٦

٢- حكيم راضي/ اللغة وحدودها، جملة الاقلام، العدد:٥٠، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، مايو١٩٨٤، ص٣٠.

الذي يطبع المغرب ككل، مما جعل أغلب الروائيين يعطفون على استحضاره داخل السرد؛ رغم أن هذا التوظيف (للهجة) يبدو في كثير من الأحيان غير مبرر، وقد يفقد الرواية الحضور الذي يليق بها؛ لأن الإكثار من الدوارج وإدراج نصوص بالفرنسية والإنجليزية يقلص من أدبية الرواية حيث تبدو الرواية باعتبارها جنسا أدبيا قريبة إلى لغة الحياة اليومية؛ خاصة وأن اللغة هي أساس العمل وكنه إذا " من الممكن تصور رواية من غير أحداث ولكن لا يمكن تصور رواية خارج اللغة وقد جربت الرواية الجديدة على أيدي آلأن روب غربية وسواه من كتاب الموجة الجديدة كتابة رواية من غير أحداث بالمعنى المعروف الشائع للأحداث لكن أحدا لم يسع إلى فعل ذلك من غير لغة" [١]، لقد لجأ بعض الروائيين المعاصرين لاستدعاء ألفاظ من المحيط الواقعي للروائي ويدخل في هذا النطاق الألفاظ العامية التي استعار منها بعض الروائيين مفردات متنوعة حسب نمط السرد الذي يختاره الروائي والذي غالبا يعمل على الرغبة في المزواجة بين الفصحى التراثية واللغة المعاصرة البعيدة عن التكلف والتزويق البلاغي، أو الاستعانة باللغة الفصحى إلى جانب مفردات دخيلة تفقد دلالتها اللغوية عند ترجمتها للعربية إضافة للغة الحياة اليومية والتعابير المتداولة في لغة التواصل التي اعتمدها بعض الروائيين؛ "وأفهم اللغة الوسطى تلك التي تتوالد بين المثقفين العرب والتي يمكنها روائيا أن تقرب الفصحى من الحياة والعصر وتستفيد من العامية وتراكيبها لإعطاء الصنيع الفني ظلالا إبداعية تحمل نكهة شعبية حياتية... ثم الشغل على الحوار بحيث لا يتجمد في الفصحى ولا يدفع الى

١- محمد الناصر العجمي/ موقع السيمائيات من مناهج البحث الغربي الحديث، مجلة دورية محكمة العدد٠٢، ٢٠٠٦، ص٢٥.

الغرق في بحر العامية"[١]؛ وقد استعان الروائيون بهذه اللهجة في بناء الحوار والسرد بغية أن تصل للمغاربة كافة، لاسيما وأن الرواية تجسيد للواقع.

وقد عمد محمد برادة على دمج اللغة الفصحى بالعامية وهو ما نجد له الأثر الواضح في روايته "**حيوات مجاورة**" عندما أسند السرد لشخصية "**ولد هنية**" الذي يعتمد الحديث بالعامية التي تعبر عن مستواه الثقافي؛ يقول «**ولد هنية**» ما يلي: «أنا عمري ما حكيت حياتي لشي حد أو حتى لراسي مناين غادي نبدا وشلاّ ما نتفكر؟ تيخص شي واحد يكون عارف حياتي ويبدا يفكّرني وأنا نكمل. أما الآن غادي نبدا نقّز من حكاية لاخرى.أنا غير حشمت منّك على ود انتا عزيز علي"، وتختلف اللغة بمجرد أن توكل وظيفة السرد للسارد نفسه حيث نجد شخصية "**نعيمة آيت لهنا**" تقول وهي تحكي عن ذاتها: «أنت تريدني أن أحكي تفاصيل حياتي منذ الطفولة، لكنني غير مقتنعة، مثلك، بوجود خيط رابط بين مراحل عمرنا، بالأحرى، هناك منعرجات ولحظات لا ندرك كنهها كأنما تسقط من فوق وتتحكم في دفة المسار. لذلك لا أريد منك أن تستخلص الدوافع التي توجّه مسلكي، إذ كثيرا ما فعلت أشياء متناقضة، متضادة». إن شخصية «نعيمة آيت لهنا» حين يتم منحها سلطة الحكي عن حياتها، فهي تقوم بحكيها اعتمادا على صوتها السردي الخاص، بحيث نلاحظ أنها تمتلك لغة خاصة بها تسير وفق تجربتها وثقافتها داخل النص الروائي، أما بخصوص شخصية «**عبد الموجود الوارثي**» فإن السارد يقدمها عن طريق خلق حوار مشترك بين الشخصية والسارد المشارك في الأحداث، وعن طريق هذا الحوار يمنح السارد لهذه الشخصية فرصة التعبير عن ذاتها؛ حيث يقول «**عبد الموجود الوارثي**» في

١- عبد الرحمان منيف/ هموم وآفاق الرواية العربية، دار الكتاب الجديد، بيروت، سلسلة الكتاب الجديد ١٢، ط١، ١٩٩٢، ص ٢٠

ثنايا هذا الحوار: « يرتبط عندي معنى الحياة بالطفولة: تدليل أمي لي، تقليد نطق الكلمات، تعلّم المشي، أيام النزاهة في جنانات فاس، ...أقول لك حتى لا أطيل بأن الطفولة وبداية الشباب زرعا فيّ الإحساس بالحياة في شموليتها والتي كانت تبدأ عندي بالتعلم واكتشاف المتعة والإحاطة ببعض ما كان متاحا لنا من الحضارة الغربية "؛ وعموما فالإيقاع العام الذي تسرد فيه الرواية يفرض تداخل الدراجة بالفصيح ليبرهن على التوتر الذي يسود الأنساق والقيم في الحياة وأيضا لأن العامية في سرد الروائي تلائم شخصية وطبيعة المكان؛ إلى جانب هذا الاستعمال اللغوي تحضر اللغة الفصحى لتكشف البعد المعرفي والفكري للمؤلف الروائي ومختلف فئات المجتمع المغربي؛ حيث نجد في الرواية:

هكذا هي الأمور عندنا ...الشبان يبحثون عن اللهو أكثر مما يفكرون في الاستقرار

لعلكي تبالغين يا أنسة سعيدة، فليس شبان كلهم كما تقولين.

ربما لكنني أتحدث عن الذين قابلتهم وعما أشاهده من علاقات بين صديقاتي وعشاقهن ... "[1].

إن هيكلة السرد بتعددها اللغوي منح للرواية قوة تعبيرية وجمالية بالإضافة إلى أن السارد وهو يقوم بذلك يسعى لتشكيل رؤية سردية كبرى تقوم بوظيفة النقل والتعليق سواء على سرد هذه الشخصيات أو الأحداث التي تدور في الرواية ورغم أن الرواية المغربية أخذت نصيبا كبيرا من الاهتمام المحلي والاقبال بين صفوف القراء واستطاعت أن تلامس الواقع وتكشف الخوف والظلم واليأس الذي عاناه المغاربة؛ إلا أن إشكال اللغة في الرواية المغربية يعد من أهم الإشكالات التي

١- محمد برادة، ١٠٦.١٠٧

يمكن أن تقلل من شأن العمل الروائي وتضنيه عن تحقيق التفرد السردي مقارنة بالحضور اللغوي في الرواية العربية الذي يعتمد غالبا على اللغة الفصحى.

الحوار:

يعد الحوار صنفا من أصناف التعبير الفني وعنصرا هاما يشترك مع السرد والوصف في بناء الأحداث وتفعيلها سواء كان هذا الحوار داخلي أو خارجي فالأكيد أنه حلقة وصل بين المؤلف والمتلقي في الكشف عن أحداث السرد واستيعابه ورصد الحالات النفسية للشخصيات التي يتبناها المتلقي ويتعاطف معها ويدرك مواطن جمالها " فنحن لا نعرف سلوك الشخصية فحسب بل ندرك لماذا أقدمت على هذا الفعل دون سواه"[١]، كما يشكل الحوار أداة يرسم بها الروائي الأبعاد الفكرية والثقافية للشخصيات ويعمل من خلالها على الربط بين الماضي والحاضر وتطلعات المستقبل التي تهدف إلى إقناع القارئ والتأثير فيه.

يتشابك الحوار مع جملة من العناصر البنائية في السرد حيث يشكل الزمن والمكان أهم العناصر التي تتقاطع مع الحوار وتكمله؛ فالحوار يتوسع ويضيق بناء على زمن السرد وأمكنته، إضافة للشخوص التي تتكفل بإدارة هذه العناصر البنائية ككل؛ وعليه فالحوار بمختلف أنواعه يشكل المطية التي يكشف الروائي بها بنى النص.

الحوار الخارجي:

يدور الحوار الخارجي بين شخص أو أكثر مختلفين من حيث تطلعات الحياة بغية خلق مشهد واحد يبين من خلاله مواقف الشخصيات تجاه حدث

١- عبد الفتاح عثمان/ بناء الرواية (دراسة في الرواية المصرية)، مكتبة الشباب، القاهرة، د.ط، ١٩٨٧، ص٢٣٧.

ما أو تعبيرا عن أفكارها ومشاعرها من غير تدخل السارد؛ ولا تخلو روايات الروائي محمد برادة من هذا النوع من الحوارات التي اتسم بها السرد بين "**عبد الهادي**" و"**زوجة خاله**" في رواية **(لعبة النسيان)**، لاسيما لما " أعلن عبد الهادي الحرب على زوجة خاله الثانية ...ويعود عبد الهادي من المدرسة في الحادية عشر، تقدم له زوجة الخال كأس حليب وقطعة غريبة... ينتقل إلى الباب وهو يصيح: (بعدي مني اهاد عيون القطة)، ترد هي (كيتك وخلا دارك أبو سلوفان؛ دابا تشوف والله وقبضتك حتى نتفك بريش تقرب لهنا"[1]؛ كما يتخلل هذا الحوار بعض الألفاظ الأجنبية للمستعمر كدليل على التعدد اللغوي الذي يهيمن على اللسان المغربي حيث نجد ورود بعض الألفاظ مثل " de pape, la[2] justice, henruyrar"؛ كما نقف أيضا على الحوار الخارجي الذي جاء على شكل جدل بين المؤلف وراوي الرواة؛ حيث ساءت العلاقة بيني وبين المؤلف إلى حد القطيعة والتخلي عن التعاون والتنسيق ولا وسطاء الخير لكان الذي يتحدث إليكم مباشرة ألان هو:

قلت للمؤلف لا داعي لأن نجزئ الزمن إلى زمنين

قال المؤلف مفهوم وقريب من البديهي ما تقول غير أن ...

قاطعته كلام قديم وتعتيم لم يعد يقنع أحدا...

أستاذة المؤلف أنا معك فيما تقول ولكن،

قاطعه معترضا: الحديث عن هذه الظاهرة

قال المؤلف: زكانه إفتتح بما قلت...

قلت محتدا: أوف أنت مصر على الوقوع فيما تحاول الهروب منه

١- لعبة النسبان/ محمد برادة، ص١٩/٢٠/ ٤٢/ ٧٢ الى ٧٩/٨٦ / ٨٧/ ١٩٣

٢- لعبة النسيان، ٩٤.

طال الحوار دون أن نصل إلى اتفاق"[١]

الحوار الداخلي: يعد حوارا باطنيا يستدعي حضور الذات تعبيرا عن ما يعج الخاطر من مشاعر وأحاسيس قد تخرج في مواقع من السرد دون ترتيب أو تزويق؛ فالحوار الداخلي "نمط تواصلي لكنه لا يستدعي وجود الأنا بل هو حوار من جهة واحدة ويوجه إلى الداخل ليبلور موقف الذات تجاه أشياء لا تظهر في الحوار الخارجي"[٢]، يعكس الحوار الداخلي المشاعر الداخلية التي تتخبط فيها النفس الإنسانية من حيرة وقلق وخوف والتي غالبا لا تخضع لترتيب مسبق ويظهر الحوار الداخلي من خلال المقاطع الموجودة في رواية **محمد برادة** التي قد تخاطب نفسها باللهجة العامية؛ كما نجد في مقطع " مناين للرباط كلست مورا الأولى عند ولد عمي كان تيبيتني في الهري ديلوا حدا جامع مولاي سليمان حتى جمعت شوي فلوس"[٣] في حين تناجي الشخصية نفسها " وأنت مأخوذا بما ترى تظل مع ذلك مشدودا إلى العيون الوسيعة الواشية بابتسامة خلف للثام"؛ ليظل الحوار السمة الأكبر تفاعلا للقارئ وتفعيل لأحداث الرواية ودافعا لفهم الشخصيات؛ فالرواية فضاء يتم فيه استثمار جميع العناصر السياسية والثقافية والفكرية والاجتماعية لنسج صورة متوازنة تلم شتات المجتمع.

الشخصيات

تتضافر جملة وقائع ومعطيات في نسج الشخصيات الكفيلة بإدارة الأحداث ونقلها بناء على منطلقات متداخلة بين القارئ المتلقي وموهبة الروائي، وتتعدد الشخصيات في المتن السردي الواحد حسب الأبعاد الفنية والجمالية التي تفرضها طبيعة السرد وأحداثه؛ والتي غالبا ما يحركها البعد " الإنساني

١- محمد برادة/ ١١٩-١٢٣

٢- قيس عمر محمد البني/ البنية الحوارية في النص المسرحي، ناهض رمضاني أنموذجا، عمان، دار غيداء، ط١، ٢٠١٢، ص ٥٧.

٣- محمد برادة/ لعبة النسيان، ص٥٠.

والاجتماعي النفسي"[1]؛ فرغم أن الشخصية ليست كائنا حيا داخل المتن إلا أنها واقع متخيل وقضية لسانية إذا هي " مفهوم تخييلي وكائن من ورق بتعبير رولان بارت وقضية لسانية حسب تودوروف"[2]، فالأوضاع الاقتصادية التي عاشها المغرب إضافة للطبقية والاستغلال والظروف الاجتماعية من ظلم وجور شكلت أهم القضايا التي أججت نار الوطنية لدى الروائيين الغيورين على مجتمعهم الطامحين لمستوى أفضل من الاستقلالية والتكافؤ والعيش الكريم وكلها آليات وأبعاد استعانت بشخصيات كأداة لتحليل العمل الأدبي ونقل قضايا أرهقت كاهل عوالم الذات وروح الجماعة.

إن اختيار الروائي للشخصيات غالبا يكون نابع من حيثيات الواقع وطبيعة الحدث، فكلما كانت الأحداث متشعبة إلا وفرضت على الروائي نوعا محددا من الشخصيات، وهو ما يفسر اختيار **محمد برادة** لشخصية توفيق الصادقي كونه عايش فترتين متناقضتين من حيث الظرفية السياسية والاجتماعية الناجمة عن فترة الحماية والاستقلال وما نتج عنها من غيظ الصراع بين الأحزاب النضالية ضد المستعمر بغية إرساء مُجتمع الديمقراطية وحقوق الإنسان؛ وعليه فقد كانت شخصية **الصادقي** الاختيار الأنسب للكشف عن التغيرات التي حدثت بين الفترتين والتي تفرض وعيا متكاملا "وعي الفكرة الاستعمارية ووعي الكتابة كاستراتيجية تقويضية وتفكيكية للاستعمار"[3]؛؛ في حين تناول محمد برادة في رواية "حيوات متجاورة" ثلاث شخصيات كبرى وهي

١- الفيصل سمر روحي/ الرواية العربية البناء والرؤيا، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٣، ص ١٦٩.

٢- محمد عزام/ شعرية الخطاب السردي (دراسة)، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط،٢٠٠٥، ص١١.

٣- شهلة العجلي/ الخصوصية الثقافية في الرواية العربية، الدار المصرية، القاهرة، ط١، ٢٠١١، ص ٢٣٠.

شخصية «**نعيمة آيت لهنا**» التي يحيل اسمها على الرخاء والسكينة، وشخصية «**ولد هنية**» والتي تتقاطع مع الدلالة السابقة كونها تنتمي للحقل الدلالي نفسه، ثم شخصية «**عبد الموجود الوارثي**» والذي يوحي بالقوة والديمومة والثراء والمنتقاة من كلمة الإرث والوجود، وهي الصورة التي تحاول الرواية أن تثبتها من خلال تعانق الأحداث ودلالة هذه الأسماء؛ مما يدفعني إلى القول بأن الكاتب محمد برادة اختار هذه الأسماء بغية نقل ما يريد بناءه انطلاقا من دلالات واقعية ورمزية ترغب في إرساء معالم أخلاقية ووطنية باتت متجاوزة؛ يمكن القول أن الشخصية "هي كل مشارك في أحداث الحكاية سلبا أو إيجابا الشخصية عنصر مصنوع مخترع ككل عناصر الحكاية فهي تتكون من مجموع الكلام الذي يصفها ويصور أفعالها وينقل أفكارها وأقوالها"[١]، تمثل الشخصيات في الرواية تطلعات الفرد وآمال الجماعة في التغيير والتحرر من سلطة الأخر لاسيما إذا كان الأخر مستعمر جائر ظالم ومستبد لحياة مجتمع بأكمله والتصدي له يفرض تكاثف واتحاد الشعب برمته وتصعيد النضال الذي عاشه المغاربة في الواقع ولامسه المتلقي في الروايات.

تتسم الرواية بتعدد الشخصيات بين شخصيات رئيسة تقوم بدور البطولة تسيير الأحداث وتمنحها الرواية حضورا ومكانة متقدمة؛ وشخصيات ثانوية تعمل على المشاركة في صناعة الحدث ونقل تفاصيل وجزئيات مهمة في البناء السردي حيث لا يستقيم الحدث الرئيسي بدونها؛ وغالبا ما يقوم الروائي أو سارد بالتطرق لبعض الصفات الأخلاقية والخلقية لشخصية الرئيسة حتى يثير انتباه القارئ ويكد ذهنه لمحاولة استيعاب الأحداث وربطها بالشخصيات، ونجد الكاتب يقول عن شخصية **لالة الغالية** "عرفناها فألفناها أحببنا وجهها الممتلئ المدور

١- زيتوني لطيف/ معجم مصطلحات نقد الرواية، مطبعة الناشرون، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٢، ص١١٤.

وبسمتها الذكية، واهتمامها بالناس تحب أن تسعف تواسي وتنصح صبورة تعلمت أن تقارع الأيام وأن تستعد للمفاجئات كريمة مع الآخرين"[١]؛ تتناسق صفات الشخصية الرئيسة مع اللقب الذي اختاره الكاتب ليزيد به شغف المتلقي ورغبته في كشف أحداث الرواية والتفاعل معها لاسيما والنفس تميل لطيب الخلق وهي صفات تلاشت في ظل بشاعة وشجع المجتمع، للتقاطع في السمات ذاتها شخصية "**الطيب**" وهو أخ لالة الغالية والذي أخذ من الحقل الدلالي لاسمه حيث يصفه الكاتب في مقطع " وهو يحرص على ضبط حركاته حتى لا يوقظ سكان الدار الكبيرة يمر على مسجد مولاي إدريس ليصلي الفجر ويرتل ما تيسر من الذكر الحكيم"[٢]؛ حرص الروائي على تراتبية حضور الشخصيات حسب فعاليتها في الرواية وهو ما يضمن للعمل الأدبي تكامل عناصر البناء الفني الذي لا يمكن أن يستقيم دون حضور الشخصيات.

الحدث:

يمثل الحدث المحرك الفعلي لفعل الكتابة بمختلف أجناسها الأدبية وكلما اقترب الحدث من الواقع إلا ونال حظوة وشغف القراء، وتشكل البداية والحبكة والنهاية أهم حلقات الحدث الذي يتفنن الروائي في نقلها حسب تأثيرها في الأحداث" تمثل العمود الفقري لمجمل العناصر الفنية كالزمان والمكان والشخصيات واللغة والحدث الروائي ليس تماما كالحدث الواقعي الذي يجري في حياتنا اليومية بالرغم من أنه يستمد أفكاره من الواقع"[٣]؛ يسهم الحدث في البناء الفني للرواية إن لم نقل أنه الركيزة التي تؤثر في تأسيس العمل وتفعيل بقية الأحداث التي تتوالد من الحدث الأساسي الذي يشكل الحبكة التي تتضافر باقي

١- محمد برادة/ لعبة النسيان، ص ١٠.

٢- محمد برادة/ لعبة النسيان، ص ١٥.

٣- أمنة يوسف/ تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ط٢، ٢٠١٥، ص ٣٧.

الأحداث لحلها ليبلغ السرد نهايته في تماسك وتكامل تام حيث " ترى الأحداث تتسم بالروابط والتتابع وبالحتمية والسببية وهذا ما يمنح البناء الروائي صفة العضوية والتماسك"[١]، ففي رواية " **موت مختلف**" انطلقت الرواية من الحاضر الراهن للعالم الذي يغلفه الشك في كل الخطابات السياسية نتيجة التحولات الكبيرة التي ترسخت مع ظهور العولمة وزعزعت المفاهيم والقيم الإنسانية والدينية، مما أسهم في ظهور أحداث فارقة في تاريخ العالم كثورة فرنسا ١٧٨٩، وثورة الطلاب سنة ١٩٦٨؛ كلها أحداث فارقة تأثر بها المجتمع المغربي وحاول محمد برادة محاورتها في بناء سردي يبحث عن حل لحبكة النهاية والموت الذي يسعى له برادة ولعل ما يميز الموت عنده أنه مختلف عن ما عهدناه، مما يجعل القارئ متشوقا لفك لغز هذا الموت الذي وسمه بالمختلف وكأنه يرغب في تعزيز الاستثناء في الكتابة والتصور والطموح.

الزمان والمكان:

يشغل الزمن حيزا كبيرا في بناء الرواية ونقل تفاصيلها إذا تتشكل به مراحل كل الحدث وتغيراته؛ فالزمن مرتبط بالوجود الذي هو" الزمن الذي يحاصرنا ليلا ونهارا وصبا شيخوخة دون أن يغادرنا لحظة أو يسهو عنا ثانية من الثواني"[٢]؛ فالزمن يظهر من خلال بقية عناصر البناء الفني لهذا فقد يختلف زمن الكتابة ويتباعد عن زمن القراءة لكن التخييل يقصر مسافة الزمن ويلغيها، حيث يستطيع الروائي تقليص الزمن وتمديده حسب حاجاته في تسيير الأحداث وقرب وبعد الزمن من الحدث بناء على استراتيجيات الاسترجاع التي تلجأ إليها أغلب الروايات المعاصرة منها رواية "لعبة النسيان"؛ حيث يقوم الحدث فيها على

١- شكري عزيز ماضي/ فنون النثر العربي الحديث، الشركة العربية للتسويق، ط١، ٢٠١٢، ص٢٩.

٢- عبد المالك مرتاض/ في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، الجزائر، د ط، ص١٧١.

استرجاع زمن النضال والتحدي ضد المستعمر الفرنسي ليصور لنا الزمن الحدث وكأنه زمن آني لحظي" وفي الداخل تكوم أهل الدار كلهم في السفلي خوفا من أن تقتنصهم رصاصة طائشة تتسلل من السطوح حيث يقبع جنود سينغاليون يراقبون المدينة القديمة المتمردة الحرب توشك على نهايتها"[1]، فأنت تعيش لحظات الخوف التي عاشها أهل (الدار الكبيرة) خاصة والمغاربة عامة زمن الاستعمار، ومن خلال هذا الاسترجاع تعتريك رغبة الانتماء لهذا الزمن زمن النضال والصمود زمن التغلب على القهر والظلم زمن الوحدة والمبادئ، كما يسهم الزمن في تجسيد واستعادة المواقف بكل دقة وحرفية فالاسترجاع آلية فعالة في إعادة مشاعر وأحاسيس ترتبط بأمكنة وشخوص لها بالغ الأثر في خواطرنا وقد جسدها **محمد برادة** في أكثر من مقطع أحيانا بالدراجة أحيانا أخرى باللغة الفصحى، حيث يقول" أذكر الطفولة فاذكر الشباب وأذكر المراهقة فاذكر مصات الرضاع وملامسة الأم"[2]؛ لحظة زمنية واحدة تولد عنها زمن يختصر مراحل عمر الإنسان المتشوق للحظات الزمن الجميل المتمرد على الحاضر المتوجس من زمن المستقبل، فالزمن يعمل على الربط بين كل الحقب الزمنية التي عاشها الفرد والتي لم يعيشها فيقرب المسافات ويعيد صياغة الأحداث بشخوصها المفقودة، حيث يسترجع سي إبراهيم شخصية الغالية ويقول "امرأة ربانية لالة الغالية كانت أسيدي مولاي ديما معكم تتقوم تصلي الفجر وكنت تتلقاها سبقتني لصلاة وهي رافعة كففها تتدعي معكم"[3]، جاء هذا السرد الزمني معتمدا على اللغة (العامية) القريبة من المستوى الفكري والثقافي لمختلف الفئات الاجتماعية، لتتجاذب إستراتيجية الاسترجاع الزمني مجموعة من المتناقضات العاطفية بين الرغبة في التذكر لاسترجاع أمجاد الماضي والتغني بالإنجازات

١- محمد برادة/ لعبة النسيان، ص٢٥.

٢- محمد برادة/ لعبة النسيان، ص.١٢

٣- محمد برادة/ لعبة النسيان، ص١٢٦.

النضالية وبين أخرى ترغب في مسح أزمنة الاضطهاد والقمع وسلب الحريات من ذهن جيل السبعينات وكلها أزمنة سمحت للقارئ بالانسجام مع أحداث وشخوص تشكل جزءا من هويته وانتمائه وأسهمت أيضا في تطور فكره وإلمامه بحيثيات زمنية قديمة.

المكان:

يشكل الفضاء الذي تدور فيه الأحداث عنصرا من عناصر البناء الروائي وتأطيره، حيث يمنح المكان للمتلقي تصورا واقعيا ومتخيلا للأماكن التي يعرضها السارد والتي غالبا ما تحمل أبعادا سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية؛ فالمكان يحمل دلالة قوية تبني معها المتن وتقرب الحقيقة من المتلقي كما تحدد طبيعة الشخصيات المستعان بها، "إن المكان هو الذي يؤسس الحكي لأنه يجعل القصة المتخيلة ذات مظهر مماثل لمظهر الحقيقة"[١]؛ فالفضاءات التي تدور فيها الأحداث تتحكم في عناصر أخرى من البناء الفني للرواية كطبيعة الشخوص وأزمنتها وأفكارها وميولها..، لهذا غالبا ما يحرص الروائي على تنويع الأماكن استجابة لتطلعات القراء ورغبته في خلق فضاء مفتوح لا متناهي تماشيا والنفس الإنسانية الرافضة لكل الأماكن المغلقة.

يعد المكان سمة من سمات العمل الروائي عند **محمد برادة** الذي حاول استدعاء الأماكن التراثية التي تشكل بعدا ثقافيا وسياسيا واجتماعيا في ذاكرة القراء ويثير حنين المتلقي ولهفته في معانقة تراث حضاري وإنساني حاول المستعمر تشويهه وإضمار معالمه؛ وقد صورت الرواية فضاء **فاس** في أكثر من مقطع خاصة وأنه من الأماكن التي تثير اهتمام وشغف كل مغربي لأنه يختزل عراقة المغرب وأصالته وهو المكان الذي يزداد جمالا ورحابة مع فصل الربيع

١– حميد الحميداني/ بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩١، ص٦٥.

حيث يقول " ...تستقبلهم الجنانات المبثوثة على حافة أصوار فاس وبواباتها ويغوصون في خضرة منتشين بتغريدات الحساسين والمقانين تضحك النفس وتنتعش بعد الكد والعمل ...بلقاء الربيع"[١]، الأماكن تشكل المأوى الذي تتوارى فيه أحزان الفرد كما يساهم في استرجاع المشاعر المنسية، فالمكان حلقة وصل بين الأحداث والأزمنة إذا هو الوطن والانتماء، ويبقى فاس في الرواية محور يختز تطلعات وآمال **لالة الغالية** الشخصية الرئيسة التي تنتعش بمجرد تذكر أماكن عالقة بكل تفاصيلها في خاطر وبال الشخوص التي تروي الأحداث.

يكشف غالبا المكان صورة المجتمع والمفارقات الاجتماعية والسياسية التي يعيشها المغرب بكل فئاته التي تتنوع من مكان لآخر، فالمكان ليس مجرد فضاء تصب فيه الأحداث وإنما هو محور لتحاور أزمنة قريبة وبعيدة وآنية؛ وقد تنمو الأحداث وتتسارع بتعدد الأماكن وقد تتغير مجرياتها حسب حاجة الرواية للمكان، حيث سينتقل محمد برادة بالسرد من فاس إلى **الرباط** مكان الطفولة والصبا أيام يحن لها **الهادي** "بدت الرباط للهادي مدينة مفتوحة بدون أسرار أو ماجاه أزقتها متسعة ومستويه والمنازل غير عالية ولا مثقلة بالزليج وبزخارف النقوش الجبصيه"[٢]، الرباط يحمل سمات ومكونات جديدة على السرد وعلى الهادي الذي يجد نفسه أمام فضاء جديد، كما تشكل الفضاءات الضيقة حيزا كبيرا من الرواية خاصة فضاء "**الدار الكبيرة**" مكان لتفاعل وجريان الأحداث، حيث وصفها **محمد برادة** من الناحية المعمارية والهندسية ونقل ما تحوي من دفئ عائلي ونفسي "من جديد تبدو الدار وكأنها لا تمتلئ إلا بالأم لالة الغالية، وهي في لحظات صمتها وتفكيرها تغور إلى أعماق الدار وتمزج بزلجيها وسواريها تتغرس في حمامها المهجور واصطبلها وردهاتها"[٣]، فالدار فضاء داخلي منعزل عن العالم " هي

١- محمد برادة/ لعبة النسيان، ص ١٦.

٢- محمد برادة/ لعبة النسيان، ص ٣٥.

٣- محمد برادة/ لعبة النسيان، ص ٩.

التي ينتقل بينها الإنسان ويشكلها حسب أفكاره والشكل الهندسي الذي يروقه ويناسب تطور عثرة وينهض الفضاء المغلق كنقيض للفضاء المفتوح وقد تلفق الروائيون هذه الأمكنة وجعلوا منها إطارا لاحظا قصصهم ومتحرك شخصياتهم"[١]؛ يستعين أيضا محمد برادة في روايته "**لعبة النسيان**" بأماكن تكشف عن مستوى أخر من الوعي لدى فئة كبيرة من المجتمع المغربي ويتعلق الأمر بالأضرحة **(مولاي ادريس)** التي تعكس معتقدات وأعراف الجيل القديم جيل **لالة الغالية** وأخيها **سيد الطيب**؛ الذين يمثل لهم المكان المقدس ورابط الذي يمتن العلاقة الخالق والمخلوق؛ **(مولاي ادريس)** المكان الذي تتجدد فيه الأماني وتشيع به الطمأنينة بين الزائرين له خاصة النساء اللواتي يتخذن منه ملاذا للبوح والشكوى من جور الأيام وقساوة الحياة " ويكون العصر موعد زيارة الأهل والاقارب أو الجلوس في القبيحة المخصصة للنساء بضريح مولاي ادريس" [٢]؛ معتقدات وأعراف ما كان ليسجدها الروائي لولا استعانته بعنصر المكان الذي يسجد تقاطعات كبيرة مع عنصر الزمان والشخوص والأحداث.

١- شريف حبيلة/ بنية الخطاب الروائي، دراسة في رواية نجيب الكيلاني، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط ١، ٢٠١٠، ص ٢٠٤.

٢- محمد برادة/ لعبة النسيان، ص ٦١.

خاتمة:

استطاعت الرواية المغربية بزعامة ثلة من الروائيين أن تنقل الواقع فمتحت من التحولات التي عرفها العالم العربي والغربي لتنسج لنفسها نمطا فنيا توسل بعناصر البناء الفني للرواية العربية والغربية؛ فجاء الحدث واقعيا ليخلق المنطلق والحبكة؛ وتقلدت الشخصيات الواقعية والمتخيلة بصياغة الحوار بلغة تتراوح بين اللغة الفصحى والعامية(الدارجة) كمحاولة لتقريب الواقع وتجسيده بمعانقة أماكنة وأزمنة محفورة في ذاكرة المغربي وفي السجل التاريخي للمغرب والحافل بالكثير من القمع والاستعمار الذي مازال يحاصر بعض المدن إلى يومنا هذا، وقد توسل محمد برادة في رواياته بهذه العناصر الفنية ككل لينقل هموم الذات والجماعة.

قائمة المصادر والمراجع

رقم	أولاً: المصدر والمرجع
١.	أمنة يوسف/ تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ط٢، ٢٠١٥.
٢.	جورجي زيدان/ تاريخ آداب اللغة العربية، بيروت، دار الأدب، ج٤.
٣.	حسين خمري/ نظرية النص من بنية المعنى الى سيميائية الدال، منشورات الاختلاف الدار العربية للعلوم، الجزائر، ط١، ٢٠٠٧.
٤.	حميد الحميداني/ بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩١.
٥.	خالد حسين حسين/ شعرية المكان في الرواية الجديدة (الخطاب الروائي لا دور الخراط نموذجا)، كتاب الرياض، مؤسسة اليمامة الصحيفة، الرياض٠
٦.	زيتوني لطيف/ معجم مصطلحات نقد الرواية، مطبعة الناشرون، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٢.
٧.	سعيد يقطين/ الكلام والخبر: مقدمة للسرد لعربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٧، ص١٩٧.
٨.	شريف حبيلة/ بنية الخطاب الروائي، دراسة في رواية نجيب الكيلاني، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط ١، ٢٠١٠.
٩.	شكري عزيز ماضي/ فنون النثر العربي الحديث، الشركة العربية للتسويق، ط١، ٢٠١٢.
١٠.	شهلة العجلي/ الخصوصية الثقافية في الرواية العربية، الدار المصرية، القاهرة، ط١، ٢٠١١.

١١.	عبد الحميد القط/ بناء الرواية في الأدب المصري الحديث، دار المعارف، مصر، ط١.
١٢.	عبد الرحمان منيف/ هموم وآفاق الرواية العربية، دار الكتاب الجديد، بيروت، سلسلة الكتاب الجديد ١٢، ط١، ١٩٩٢.
١٣.	عبد الفتاح عثمان/ بناء الرواية (دراسة في الرواية المصرية)، مكتبة الشباب، القاهرة، د.ط، ١٩٨٧.
١٤.	عبد الله إبراهيم/ موسوعة السرد العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٥.
١٥.	عبد الله العروي/ من التاريخ الى الحب، الدار البيضاء، نشر الفنك، ١٩٩٦، – حكيم راضي/ اللغة وحدودها، جملة الاقلام، العدد:٥٠، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، مايو ١٩٨٤.
١٦.	الفيصل سمر روحي/ الرواية العربية البناء والرؤيا، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٣.
١٧.	قيس عمر محمد البني/ البنية الحوارية في النص المسرحي، ناهض رمضاني أنموذجا، عمان، دار غيداء، ط١، ٢٠١٢.
١٨.	محمد برادة /لعبة النسيان، دار الشروق الأولى، مصر، ط١، ١٩٨٧.
١٩.	محمد رياض وتار/ توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د ط، ٢٠٠٢.
٢٠.	محمد صابرعبيد/ المغامرة الجمالية للنص الروائي، عالم الكتب الحديث، إربد، ط ١، ٢٠١٠.
٢١.	محمد عزام/ شعرية الخطاب السردي (دراسة)، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط،٢٠٠٥.

٢٢.	مرتاض عبد المالك/ في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد، مجلة عالم المعرفة، الكويت، ع ٢٤٠، ط، ١٩٨٨.
٢٣.	مصطفى الصاوي الجويني/ في الأدبي العالمي (القصة والرواية، السير)، ج ٣.

رقم	**ثانياً: المجلات**
١.	فتحي سلامة/ مجلة الفيصل، مجلة ثقافية شهرية تصدر عن دار الفيصل الثقافية، العدد٣٧، ١٩٨٠.
٢.	محمد الناصر العجمي/ موقع السيمائيات من مناهج البحث الغربي الحديث، مجلة دورية محكمة العدد٠٢، ٢٠٠٦.
٣.	مرتاض عبد المالك/ في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد، مجلة عالم المعرفة، الكويت، ع ٢٤٠، ط، ١٩٨٨.